أساليب المواجهة
للتيارات المتشددة

الأستاذ الدكتور / السيد محمد الديب

الأستاذ بجامعة الأزهر

مصر

مقدمة :

يهدف المشروع الإسلامى للحياة إلى التماسك الاجتماعى ونبذ الفرقة وسائر ألوان التطرف، وصولاً إلى وحدة الأمة من خلال المنهج الوسطى الذى لا خلاف على صلاحيته فى الواقع المعيش بين سائر الأطياف والتوجهات، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (١)، ذلك المنهج الخالى من التطرف والتشدد، وكل أنواع الخروجات على الاعتدال، بلا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢).

وتتعدد المصطلحات التى يتقارب المعنى بينها بما يشمل كل مظاهر التطرف، مثل: التشدد والتعسف والتنطع والتفريط والتمييع والتساهل، وكلها آفات وعلل ينهض بها المتشددون فى سائر الأزمان والمجتمعات، لكن مخاطر هذه التيارات أنها بذور مخصبة لإرواء العنف، ومن ثم

---

(١) الأنبياء: ٩٢ .

(٢) البقرة: ١٤٣ .

الإرهاب، الذى تنعكس نواتجه على المجتمع، مما يحتم اليقظة التامة، والأخذ بأيدى الفرقاء من المعتدلين والمتشددين إلى التوافق ونبذ العنف.

ولقد اكتوت المجتمعات الإسلامية بنيران الجرائم الإرهابية، التى لم تقتصر على وطن واحد ودين واحد، فما أخطر أن يتحول الخلاف فى الرأى إلى تطرف وتشدد، يتحمل كثير من الأبرياء نواتجه وآثاره.

ويتحقق التشدد والتطرف بالمبالغة والغلو فى الحكم وإبداء الرأى وفرضه بلا نقاش، والبعد عن التيسير، وإساءة الظن بالآخرين، مع أن أكثر المتشددين غير مكتملى المعرفة والقدرة على الاجتهاد والاستنباط، وهنا تكمن الإشكالية المفزغة مع هؤلاء الذين يسيئون الظن بالكثيرين، ويحكمون على ظواهرهم دون التعمق فى بواطنهم، والتعرف على كامل محتوياتهم.

ويكون التشدد من فرد مستقل عن غيره، يقرأ لنفسه، ويتعصب لرأيه، وربما يكون أمر هذا لا يمثل خطورة على الآخرين، لكن المتشددين عندما يكونون أفرادًا كثيرين، أو بيئة بكاملها فإن المخاطر تزداد وتتفاقم؛ لصعوبة الحوار والتفاهم، وإمكانية التحول إلى فرض الآراء بلا نقاش، وعند ذلك يمكن أن يتحول االتشدد إلى عنف تزداد مخاطره وينبغى مواجهته بكل حسم.

أسباب التشدد:

تعانى المجتمعات العربية والإسلامية من مخاطر التطرف والتشدد بما يعيق المنهج الإسلامى المبنى على السماحة واليسر عن بسط وجوده على كثير من الأنحاء، بما يوجب المواجهة بالآليات المشروعة دون توليد للعنف، خاصة أن هذا الانحراف لا يقتصر على المعتقدات الدينية، وإنما يمتد ويتوغل بين المذاهب السياسية والفكرية والثقافية، وبين الانقسامات المجتمعية المتعددة من ناحية الاقتصاد والتكتلات، والصراع بين الأقوياء والضعفاء وبين الأغنياء والفقراء، وكذلك بين اليمين واليسار والشمال والجنوب، وكذلك دون تعتيم معرفى لم يعد له وجود فى كثير من الدول، التى صارت مع الآخرين بمثابة قرية صغيرة من خلال عالم الأقمار الصناعية والسماوات المفتوحة وشبكات الإنترنت، وكل وسائل الاتصالات الحديثة، ويعنينا ابتداءً ما يجرى حدوثه فى المجتمع العربى الذى يدين معظمه بالإسلام، بما يستلزم الوقوف على جذور التشدد وأسبابه:

١ــ بعض المتشددين ينساق إلى التطرف بميوله واتجاهاته دون خضوع لتيار بعينه، إذ يعتبر التشدد نوعًا من التمسك الصميم بجوهر الدين، وربما يعلم أن التوسط منهج رشيد، ولكنه يرى فيه ما لا يرتضيه فينساق إلى التشدد بإرادته وقوة عزيمته فى مواجهة ما يراه تفريطًا فى كثير من الثوابت، فيكون الرد والحوار بمزيد من التشدد، وكلا الاتجاهين –التشدد والتفريط– مذمومان،

والمعول عليه تأثير التشدد على سلوك الشخص وعبادته، وتعاملاته مع الآخرين، فإذا حاول نشر آرائه بأية صورة، فعند ذلك ينبغى التحرك الإيجابى والحوار البناء، خاصة إذا كان السلوك معبرًا عن تيار أو اتجاه، وعلى العموم فالتشدد غير مقبول فى كافة الأحوال.

وقد حذر الرسول ﷺ الأمة الإسلامية من الغلو اعتبارًا بما كان من الأمم السابقة، وقد روى عبدالله بن عباس – رضى الله عنهما– أن النبى ﷺ قال : "**إياكم والغلو فى الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين**" (١). كما نهى الرسول ﷺ عن التنطع، وهو رديف التشدد، وذلك فى قوله ﷺ : "**هلك المتنطعون**" قالها ثلاثًا (٢).

٢ــ عدم كفاية التثقيف الدينى الصحيح الذى يعبر عن وسطية الإسلام وسماحته، خاصة بين الناشئة والشباب فى البيت والمدرسة والجامعة، فضلا عن وسائل الإعلام المتعددة والمتنوعة التى تضخ – فى كثير من الأحوال– أفكارًا شاردة، أو تطرح آراءً ضالة تتمخض عنها تيارات متطرفة، ينساق إليها الشاب أو الفتاة بعاطفة دينية طاغية، وثقافة لا تتيح للمتلقى تمييز الصحيح من الزائف، مع وجوب السماح بقدر محدود من الاختلاف يمكن قبوله، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ (٣). ومع وجوب أن تكون المخاطبات فى حدود المتاح من الرؤية والفكر عند الطرف المخاطب، واحتكامًا إلى التشريع الإلهى الذى لا يخلو خطاب دعوى منه، والحاصل فى قول الله تعالى: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ (٤).

٣ــ عدم قدرة بعض الشباب الراغب فى القراءة والاطلاع على حسن اختيار ما يتناسب مع معارفه وقدراته نظرًا لقلة محصوله الثقافى، وكانت يده تقع غالبًا على كتب ومؤلفات لا تصلح له، إما لأنها كتب لمرحلة غير الحقبة التى يعيشها، أو أنها لا تتناسب مع سنه فلا يحسن فهم ما فيها، وتكون سببًا فى قناعته عن جهل منه بالآراء المتشدد والمتطرفة" (٥)، ولا يقتصر ذلك على طوائف

---

(١) رواه النسائى فى سننه (٣٠٥٧) ورواه ابن ماجه فى سننه (٣٠٢٩) ورواه غيرهما.

(٢) مسلم (٢٦٧٠) وأبو داود (٤٦٠٨) .

(٣) هود: ١١٨ .

(٤) النحل: ١٢٥ .

(٥) قضايا ثقافية لكاتب البحث، طبع مجمع البحوث الإسلامية ص١٢٩.

الشباب وإنما يصل للكثيرين من رجال المسلمين ونسائهم الذين تجاوزوا مرحلة أنصاف أعمارهم، حيث اشتملهم التشدد سواء أكانوا فرادى أم جماعات.

٤ــ انصراف غالبية الشباب إلى المواقع الإلكترونية، المعبأ أكثرها بالعبث والشرور، واللهو والمجون، واتجاه بعضهم إلى الدين عبر هذه المواقع طلبًا للحماية والاستقامة، فوقعت أيديهم على ما ساقهم إلى التشدد والتطرف، وعدم قبول الرأى الآخر، وصار من الصعب زحزحتهم عما استقر فى أعماقهم من أفكار وآراء خاطئة دينية أو إبداعية أو سياسية، وحدث ما يشبه الحواجز التى تحول بين من يتبقى من الكفاءات، ومن بقى مؤهلاً من الشباب للفهم والقبول والاستيعاب.

٥ــ قيام غير المؤهلين بالتصدى للخطاب الدينى أو الدَّعْوى والفتوى بغير علم؛ أدى إلى عدم إقناع الأجيال الجديدة الراغبة فى التثقيف الدينى العميق، بما يحتويه من آراء مذهبية متعددة وأحكام فقهية وعقدية، ربما تكون غير لصيقة بالواقع، وفى ظلال هذا الوضع الذى استمر لفترات طويلة أسفر عن أمية دينية غير مستحبة، فى وقت صارت المعارف فيه متاحة بشكل كبير من خلال تعدد المنافذ الدينية والثقافية والإعلامية .

٦- تخضع بعض المستجدات فى أرض الواقع إلى اجتهاد العلماء، ويقع الاختلاف، وتتعدد الآراء، ويتشدد بعض الناس تعصبًا لمذهب معين، أو شخص محدد، ويشارك فى الاجتهاد من لا يصلح للبيان والقول الفصل، فيزداد الاختلاف بين التشدد والتفريط - مع أن كليهما مذموم ومنهى عنه- وتكون المناداة بصوت الوسطية الذى يتحتم الاقتناع به والدعوة إليه والالتفاف حوله، لكن مسارات الحديث والتعدد المذهبى يسفران عن حركات تشددية تحتاج إلى جهد جهيد، للتحاور معها ومناقشتها وتوجيه الفهم لديها، وصولاً إلى التيسير والاعتدال.

ومن المعلوم يقينًا أن درجات التشدد متفاوتة، وأن أسبابه كثيرة، تختلف باختلاف التوجه والمعتقد والزمان والمكان، وسائر التوجهات الدينية والثقافية والسياسية.

مظاهر التشدد:

إن أخطر ما يتمخض عنه التشدد والغلو ما يكون من أمر الفرقة والانقسام والتشتت، الذى يحدث بين جنبات المجتمع الإسلامى، بما يعد مظهرًا منفرًا وتعبيرًا غير صحيح عن المنهج الإسلامى للحياة، الذى تقضى نصوصه بالوحدة والترابط والتماسك، وتنبذ التشدد والتطرف والانقسام، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ**

إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (١)، وقال جلت قدرته: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ (٢)، وقال الرسول ﷺ: "**من خرج على الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية**" (٣)، وما أخطر أن يكون التشدد فى أمر العبادات، فإن السلوك الذى لا يعبر عن الوسطية ويتجه إلى التشدد والتطرف يمكن أن يصرف الكثيرين عن المنهج الإسلامى، وهذا ما يحدث أحياناً بسبب الإطالة فى الصلاة مثلا، وممارسة بعض الطاعات بأداء متشدد، وقد واجه الرسول ﷺ كل ذلك فى عصره وأظهر وجه الحق والصواب والتيسير فيه، قال ﷺ: "**إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء**" (٤).

وفى ذات السياق روى أبو مسعود الأنصارى قال: قال رجل: يا رسول الله إنى لأتأخر عن الصلاة فى الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب فى موضع كان أشد غضبًا منه يومئذ ثم قال: "**يا أيها الناس إن منكم منفرين، فمن أمَّ بالناس فليجوز فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة**" (٥).

وكان عليه الصلاة والسلام حريصًا على تفعيل التيسير فى الصلاة وفى غيرها من العبادات، فكان إذا أم الناس واستمع إلى بكاء صغير لأم تصلى خلفه يتجوز فى صلاته مخففاً وميسرًا على المصلين، ومراعاة لشدة تعلق الأم بوليدها، رضى الله تعالى عنه وعن سائر أصحابه وتابعيه، وروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبى قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله فقال: "**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى**" (٦).

---

(١) الأنعام: ١٥٩ .

(٢) المؤمنون: ٥٢ .

(٣) مسلم (١٨٤٨) كتاب الإمارة، ورواه أحمد، وهو حديث صحيح .

(٤) البخارى (٧٠٣) فى الأذان، والنسائى (٨٣٣) فى الإمامة، وأبو داود (٧٩٤) فى استفتاح الصلاة.

(٥) مستخرج أبى عوانة (١٥٥٥) .

(٦) البخارى (٥٠٦٣) باب الترغيب فى النكاح، ومسلم (١٤٠١) باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه .

وهكذا واجه الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الطوائف الثلاثة من خلال الاستدلال بمنهجه فى العبادة وسائر شئون الحياة، ذلك المنهج الذى يعلوه اليسر والرفق واللين بلا إسراف أو تفريط، ثم أعطى الرسول البيان بضرب المثل فيما يخص العبادات أيضًا، قال عليه الصلاة والسلام: "**إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى، فإن المنبت** (١) **لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**" (٢).

ومن أخطر مظاهر التشدد فى الدين ما يتوجه به المسلم إلى غيره واصمًا إياه بالكفر بما يعنى الخروج من الملة الإسلامية، وهذا أمر فى غاية الخطورة، خاصة عندما يكون الخطاب أو التوصيف بحق شخص يقر بالشهادتين، ويمارس شعائره الدينية بلا تقصير فى ضوء المشاهدات الظاهرة، ويكفى ردًّا على ذلك ظاهر الفهم لقول الله تعالى: ﴿ **...وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا...** ﴾ (٣)، وكان بعض السلف يقول: إنى لألتمس لأخى المعاذير من عذر إلى سبعين، ثم أقول لعل له عذرًا آخر لا أعرفه .

وقد اكتوى المسلمون بنيران التعصب للفكر والفهم فى عهد الصحابة والتابعين، بدءًا من الخوارج الذين بالغوا فى تشددهم تعبيرًا عن فساد أفكارهم، ولعل صنائعهم الثابتة فى التاريخ لا تبعد عما قاله الرسول ﷺ بشأن المتشددين عمومًا، فقد روى أبو سعيد الخدرى ﷺ قال: "بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بنى تميم، فقال يا رسول الله: "اعدل" فقال: "**ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**"، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لى فيه، فأضرب عنقه، فقال: "**دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...**" (٤)، فهؤلاء نموذج للتيار المتشدد منذ عصر البعثة النبوية، وقد أطلت هذه الفتنة برأسها فى العصر الحديث من خلال الجماعات الإرهابية المتطرفة التكفيرية التى أساءت إلى

---

(١) المنبت: الذى انقطعت عنه رفقته بعد أن أجهد دابته.

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٤٧٤٣) والزهد والرقائق لابن المبارك (١١٧٨) .

(٣) النساء: ٩٤ .

(٤) البخارى (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) .

الإسلام والمسلمين بأفكارها وآرائها المتطرفة التى أفاض الكثيرون فى أحاديثهم عنها [١].

وتتسع دائرة الخلاف ويطول النزاع بسبب التعصب فى توجيه المعنى للكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومثال ذلك ما قيل عن نهاية الآيات الثلاث من سورة المائدة ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [٤]، وقد أفاض المفسرون وعلماء العقيدة والرأى فى بيان ما يراد من ذلك بصريح العبارة أو بتأويلها، بمعنى عدم الاكتفاء بظاهر النص، ومما قيل فى بيان معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ وهى الجملة القرآنية الملازمة للنهايات الثلاث، أى: "عن تعمد وإعراض واستخفاف بأوامر الله ونواهيه فأولئك هم الكافرون بها، والظالمون لها، الفاسقون الخارجون عليها" [٥].

ومن نماذج التشدد فى الأحكام من خلال الفهم الخاطئ لبعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما قيل بشأن درجات تغيير المنكر فى قول الرسول ﷺ: "**من رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**" [٦]، فالأمر على إجماله خاضع للاستطاعة، وليس كل أحد مكلفًا بذلك على الإطلاق، وفى ضوء المعايير الثابتة، وفى نطاق الشخص الواحد يكون التصرف بحق من له عليه ولاية، فالقضية على عمومها قابلة للنقاش مع ضرورة إعمال العقل فيها إلى جانب النقل، ولو استجاب كل متشدد لفهمه وتفكيره المتطرف ، ونهض بتغيير ما يرى أنه من المنكر بيده لاتسع الأمر، وانفلت الكثيرون لعدم قبول الضوابط التى تحكم تنفيذ العقوبة المستحقة للتطبيق، والشواهد فى هذا الشأن كثيرة، وهى لا تخلو على إجمالها من

---

(١) راجع: كتاب "المتشددون المحدثون" إشراف– أحمد خليفة "جزءان" طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ٢٠١٣م .

(٢) المائدة : ٤٤ .

(٣) المائدة : ٤٥ .

(٤) المائدة : ٤٧.

(٥) التفسير الميسر للدكتور/ محمد سيد طنطاوى بهامش مصحف الأزهر ص٩٤.

(٦) مسلم (٤٩) باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان، سنن أبى داود، وسنن النسائي.

ممارسات ومخاطر ومخاز وإساءات لمنهج الإسلام فى التعامل مع المخالفين، كما أنه لابد للإنسان المسلم قولاً وفعلاً أن يعمل عقله فى كل ما يصل إليه عن طريق الرؤية أو السماع بدون إيقاف للعقل، أو تشدد فى الفهم، مع أهمية تعزيز ثقافة الاختلاف، واحترام إرادة الآخرين لتصحيح المفاهيم ومواجهة الأفكار المغلوطة، وقد ختمت آيات كثيرة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[1]؛ تأكيدًا لأهمية إعمال العقل، ورفض التشدد، وقبول التيسير والتخفيف فى العبادات والمعاملات.

ويحدث التشدد ويدور الخلاف حول أمور كثيرة ولا ينقطع الحديث عنها، ومن أمثلة ذلك نقاب المرأة وعملها فى المجتمع، وتقصيرِ الثياب، وحرمة التصوير، وأشياء أخرى كثيرة يطول الحديث عنها، إذ إن أكثر المتشددين يقْصِرون الأمر على الوجوب، دون أن يمتد إلى الندب والإباحة، فضلاً عن وجوب التعرف على قضايا فقه الواقع وتغير الأحكام والفتاوى بتغير الزمان والمكان، وهذا من يسر الإسلام وسماحته، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُلْجة**" [2].

ومما كتب عن التشدد وارتباطه بالإرهاب الفكرى ما يلى: "ليس لدينا أى شك فى أن الإرهاب الفكرى إنما هو ثمرة ونتيجة للتشدد والغلو فى الدين، وهذا التشدد راجع إلى أن هؤلاء يأخذون من الفقه ومن الشرع حرفيته، ويقفون عند اجتهادات الأولين، والجمود على متون النصوص من دون الرجوع إلى النصوص الكلية للشرع، وتحرى مقاصده وغاياته، وتحقيق مصالحه العامة، وتلمس روحه ومضمونه، والبحث عن حُكْمه ومغزاه" [3]، إذ لا تتسع صدور المتشددين لمن يخالفهم فى الرأى، ويغيب عنهم الكثير من المعالم لمنهج السلف الصالح، الذى يقوم على الوسطية والتيسير، وحرية الرأى والتعبير، وبقدر ما يسهم التشدد فى الآراء والمذاهب عند الأفراد والتيارات فى ازدياد حدة الشقاق والخلاف فإن التفريط فى القيم والمبادئ يؤدى إلى ازدياد حدة الفكر المتشدد، ولذلك فإن الإسلام يقر الوسطية ويدعو إليها بلا إفراط أو تفريط .

---

(١) منها : البقرة ٤٤ ، ٧٦، وآل عمران ٦٥ .

(٢) البخارى (٣٩)، والنسائى (٥٠٣٤) ، والدُّلْجة : السير من أول الليل.

(٣) موقع الحياة على شبكة الإنترنت.

مواجهة التشدد:

ليست المواجهة للتشدد والمتشددين الذين لم يتطور تشددهم إلى عنف أمرًا هينًا يستطيع فرد أو هيئة أن تنهض به دون سواها؛ إذ يتحتم أن تعبأ كل الجهود والإمكانات بتفعيل المواجهة بالآليات المشروعة من خلال المؤسسات الدينية، وفى مواقعها، ومن خلال علمائها بدور العبادة وسائر معاهد العلم، وكل التجمعات المهيأة لأن تجعل من رسالتها تصحيح الفكر وإزالة الغموض عن كثير من القضايا الدينية، التى يختلف الناس فيها بين متشدد ومفرط متساهل؛ سعيًا إلى نشر منهج الوسطية من خلال المتخصصين، الذين يحسنون التعامل مع ذوى الآراء المتطرفة، سواء أكانوا أفرادًا أم تيارات أم بيئات بكاملها، وهذه بعض آليات المواجهة:

١ــ الحوار الإيجابى:

عندما يشتد الخلاف بين جماعة المسلمين، ويتمسك كل فريق بما لديه من حجج وأسانيد، ويرى أنه على الحق والصواب، وأن غيره على الباطل والضلال فلابد من الاحتكام إلى الحوار واستماع كل طرف إلى حجة الآخر، ومن الواضح أن المنهج السليم والاتجاه الصائب يدين به علماء المنهج الوسطي، الذين لا يقرون تفريطًا أو إفراطًا، أى أنهم على خلاف ما يراه المتشددون، فإذا ما تباعدت الشقة، وزاد الخلاف بين المتحاورين فإن الدعاة الملتزمين بالمنهج الوسطى عليهم أن يتذرعوا بالصبر، وأن يحسنوا التصرف والتفهم لمرئيات الآخرين، ولا يكون ذلك إلا بالسعى للوصول إلى كلمة سواء يلتئم بها شمل الفرقاء، ففى ذلك صلاح للدين وتوحيد للكلمة وجمع للشمل، فلا يعتقد المعتدلون أنهم ما داموا على الحق فالواجب على غيرهم أن ينقادوا لهم، فهذه النظرة مع صحتها ووجاهتها لا ينبغى أن تكون حاجزًا للحوار مع أصحاب الرأى الآخر ما دام الحوار إيجابيًّا بضوابطه، حيث يحترم كل صاحب رأى وجهة النظر الأخرى .

إن التاريخ الإسلامى ملىء بالتفاهمات، والعديد من الحوارات، سعيًا للوصول إلى الوفاق وجمع الكلمة، ونبذ الفرقة، وتجلى ذلك فى سيرة الرسول ﷺ، خاصة ما كان بشأن التحولات الكبرى فى تاريخ الإسلام، والعهود والمواثيق كثيرة فى هذا الشأن، ولعل ما كان فى أمر صلح الحديبية من نزاع واختلاف بين الرسول وجماعة من أصحابه من ناحية، وجماعة المشركين من أهل مكة من ناحية ثانية، وتم الوصول إلى حلول ومعالجات مرتبطة بهموم المرحلة الزمانية التى يحياها طرفا النزاع، وكان التنازل عن قليل من بعض الحق إنارة واحتمالاً وتسامحًا من الرسول ﷺ وأصحابه للطرف الآخر، وتواصلت المواقف الحوارية حول شئون الحياة الإسلامية فى عصر البعثة النبوية، وسار الصحابة رضوان الله عليهم على ذات المنهج فى التعامل مع كثير من المشكلات والنزاعات،

خاصة ما اتصل منها بالعقيدة، وسائر مشتملات العبادة ومعالم الحياة الإسلامية، ومن تلك الحوارات الرائدة ما كان من على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- وعبد الله بن العباس ﷺ فى الحوار مع الخوارج، هذا الذى يعد صورة مضيئة لما ينبغى أن يكون عليه الحوار فى الإسلام .

وعرض القرآن الكريم كثيرًا من الآيات التى تعبر عن دعوة الرسول ﷺ للتفاهم مع أهل الكتاب، وذلك ثابت وشاهد على أهمية التلاقى والتوافق فى الرأي، وعدم التشدد والنزاع، مع الالتزام بالاشتراطات الثابتة، التى تراعى فيها حقوق كل طرف لدى الآخر، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ (١).

وعرض القرآن الكريم لحوارات الأنبياء مع أقوامهم؛ تأكيدًا على أهمية الحوار وكونه من أنجح الوسائل للتقريب بين الفرقاء، سعيًا إلى التوافق ونبذ الخلاف، وذلك ما لا بد من تفعيله بضوابط ثابتة فى التفاهم الموضوعى مع المتشددين؛ لتصحيح الآراء والرد على الأفكار المغلوطة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى فى حق التفاهم بالكلمة مع أهل الكتاب: ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ (٢). وذلك ما يكون السير عليه فى سبيل الوصول إلى إظهار الحق، والرد على سائر المخالفات.

والثابت أن الإسلام يدعو إلى التحاور مع الخصوم والفرقاء، للوصول إلى توافقات تُحفظ بها الحقوق، وتصان الدماء، فأولى بالمعتدلين من العلماء أن يَجِدُّوا فى محاوراتهم مع المتشددين من أبناء الإسلام الذين لم يتطور تشددهم إلى عنف، حتى يصلوا بهم إلى الاقتناع والاعتدال، كما أن الثابت يقينًا أن الحقيقة واحدة، ولا يمكن أن تتعدد، بينما يتعدد غيرها بما يؤدى إلى الفرقة والضعف والتناحر، الذى يتولد عنه الصراع والاقتتال، قال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ** ﴾ (٣).

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) العنكبوت : ٤٦ .

(٣) الأنعام : ١٥٣.

ولا يتصور أحد فى حواراته أنه –وحده– على الحق وأن غيره على الباطل، وبذلك يجب عليه أن يصمت وأن يلتزم بما يملى عليه دون نقاش، فمثل هذا الفهم فى التناول لا يحقق النتائج المرجوة، فعندما يدار الحوار لا ينبغى أن يكون محاكمة من طرف لآخر، فالهدف الأسمى هو الإنارة والوصول إلى الحقيقة، وليس إعلانًا عن انتصار فريق على آخر، وشواهد السنة دالة على ذلك، وقد قيل للنبى ﷺ : ادع على المشركين، فقال ﷺ: "**إنى لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة**" (١). فالتقدير للآخر، خاصة بين أفراد المسلمين ينبغى أن يكون مبنيًّا على التقدير والتسامح، وعدم الإساءة، والاستماع إلى وجهة النظر الأخرى، حتى لو كانت بعيدة عن الاعتدال ومعبرة عن التشدد، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**" (٢).

ويشهد تاريخ السلف الصالح بنماذج عديدة للتحاور بين الفرقاء، ومن أشهر ذلك ما كان من حوار بين مالك بن أنس إمام دار الهجرة والليث بن سعد إمام مصر وعالمها الكبير، فقواعد التفاهم والتحاور ذات معيارية واحدة، سواء أكان الحوار بين فردين أو بين أصحاب تيار أو اتجاه وآخرين، إذ لابد أن يخضع الحوار إلى ضوابط يحتكم إليها ويلتزم بها المتحاوران، مع حتمية تقبل الطرف الآخر، والتسامح معه، وعدم تجريحه وتشويه صورته، إلى غير ذلك من الأسس والقواعد التى يجب الالتزام بها، مع عدم الخروج على الموضوعية، وعدم الإساءة بالكتابة أو التحدث، فلا سبيل للتفاهم مع التشدد والمتشددين إلا بالحوار البناء والتسامح فى حدود ما يعرضه المتشددون من آراء وأفكار، فالتشدد والتطرف حاصل فى مسيرة الإسلام كاتجاه انخدع به بعض الشباب والكهول جهلاً منهم، وهو جزء من مأزق حضارى معاصر لا ننكر وجوده فى كثير من الدول الإسلامية، ولذا لابد من الحوار الإيجابى مع المتشددين، كما يتحتم تفعيل الدعوة الإسلامية بصورة إيجابية غيورة مع المتسيبين والمتساهلين، الذين لا يبالون كثيرًا بالقيم والمبادئ ويؤذون بسلوكياتهم وأحاديثهم الآخرين ممن يؤمنون بالوسطية.

٢ــ الحرية المنضبطة:

يبدو أن الدعوة للحوار –من ظاهرها– تتناقض مع "آليات المواجهة للفكر المتشدد" ولكن المقصود هو أن يكون الحوار من خلال المواجهة الهادئة بالأفكار والأدلة، وليس بالقوة والعنف والازدراء، وذلك تحت مظلة الحرية المنضبطة، التى لا تطغى على الثوابت مثل صريح القرآن والسنة الصحيحة، الذى لا يحتمل التأويل أو الاجتهاد، وفى ضوء ذلك ينبغى أن يتجه الحوار مع

---

(١) مسلم (٢٥٩٩) .

(٢) البخارى (٤٨)، مسلم (٦٤) .

المتشددين إلى الهدوء والأمل فى تحقيق الأمانى، ففى ظلال الحرية الكاشفة والمنضبطة يكون النقاش واضحًا وصادقًا وبلا خلاف أو تجمل أو نفاق، وبحيث يكون السعى إلى الإصلاح هو الهدف المنشود، وليس إرضاءً لأحد أو تفعيلاً لرأى مسبق، ففى ظلال الحرية تنمو الآمال ثم تزهر وتثمر، التزامًا بالمعطيات الإسلامية الثابتة، والضوابط الشرعية الحاكمة للمنهج الإسلامى القويم.

فالحرية المنضبطة حق ثابت لكل المتحاورين، وفى ظلاله تتضح الصورة ويظهر المخبوء ويقوم المعوج بلا خوف من نواتج ما يعرض ويثار، ذلك أن الحرية الدينية مقررة فى القرآن الكريم والسنة النبوية –ابتداءً– قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ (١).

وقد قدم كثير من العلماء آراءً صائبة وحاسمة فى مسيرة الفكر الإسلامي، الذى يثبت ويؤكد حق المسلم فى العقيدة والتعبير، وسائر التوجهات بما ينشط دوائر الفكر فى عقول الكثيرين ممن يؤمنون باتجاهات معينة، ويخشَوْن التعبير عنها، تخوفًا من عدم قبولها وإساءة الظن بها، ومن الرواد فى ذلك الشيوخ العظام: رفاعة الطهطاوى، ومحمد عبده، وعبد المتعال الصعيدى وغيرهم، وفى ذات السياق لابد من شعور المتشدد الذى لم يتطور تشدده إلى عنف بالحرية المنضبطة، ولابد من حسن التعامل معه وضرورة الاستماع إليه، والرد عليه، وتقديم الآراء الصائبة له؛ فإن من أشد الخطر فى مسيرة العمل الإسلامى والتوافق المجتمعى الدخول إلى الحوار بنظرة أحادية لا تقبل رؤية أخرى، ودون إتاحة الفرصة لنشر نسائم الحرية، لِتُعْطَى لصاحب الرأى بكافة اتجاهاته، دون تمييز بين فرد وآخر.

٣ــ تجديد الخطاب الدعوى:

يتحرى بعض المتشددين وغيرهم عن جملة من النقاط الخلافية فيعيدون الحديث عنها بكراهية وتعقب بهدف الوجاهة الاجتماعية أو الإعلامية، وإثبات التميز الذاتي، أو الكراهية للإسلام، وتساعدهم بعض القنوات الفضائية أحيانًا لأهداف ربما تكون غير واضحة، والرد على هؤلاء مهما اختلفت دوافعهم ينبغى أن يكون من العلماء المتخصصين المشهود لهم باستقامة الفكر، والتوسط فى الأحكام، والتعرف على الدوافع عند من يسيئون إلى الدين، ويجنحون إلى التشدد بحجة الدفاع عنه وصيانته، ولكن هذه هى مسئولية أهل العلم، الذين تحصنوا بالقرآن الكريم والسنة النبوية واجتهاد الصحابة فيما لم يرد فيه نص صريح من واقع التعامل مع المتشددين، وفق المستحدثات التى اتسعت بها دوائر الفكر، ولم تعد محصورة فى مرئيات المذاهب الفقهية الأربعة، وأقوال السلف

(١) البقرة: ٢٥٦.

الصالح، وتلك هى الضرورة التى يفرضها فقه الواقع وآليات التعامل بخطاب دعوى متجدد وملائم لمقتضى الحال، وتلك هى المسئولية التى حددها رسول الله ﷺ فى قوله: "**يحمل هذا العلم من كل خلف عدولُه ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**" (١).

إذ لا ينبغى أن يتصدى لهذه المهام الدعوية إلا من كان مؤهلاً لها من رجالات الأزهر والأوقاف، وهم كثيرون فى العديد من التخصصات المختلفة، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ (٢). هؤلاء النفر الذين يعتبرون كأنهم فى قتال نفروا إليه، مع الاستعانة بالفهم المتجدد للقرآن الكريم، لإحياء السنة النبوية، وإماتة البدعة الضالة، وإيضاح ما غاب عن المسلمين، خاصة فى النواحى الاعتقادية، وطرق المخاطبة الدعوية، فالبلاغة هي: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"، إذ ينبغى مطابقة الخطاب للتعامل والمخاطبة مع تيار متشدد متعدد الفهم ومعبأ بالآراء المتطرفة.

ويشمل التجديد فى الخطاب الدعاة ، فإذا لم يكن الداعية على وعى كامل بمن حوله ومستوى معارفهم ومصادر ثقافتهم فإن الخطاب لا أثر له ولا خير يرتجى منه؛ لذلك يجب الاهتمام بالدعاة من ناحية الإعداد والتحديث والقدرة على الإقناع، وفق متطلبات الأحوال، كما أن اختيار الخطاب الموجه للمسلمين أينما كانوا ينبغى أن يكون واضحًا مقنعًا، ومطابقًا لسائر مستقبليه، فالتجديد يكون فى الداعية، وفى الموضوع، وفى الأسلوب بحيث يتناسب مع ما يوجد على الساحة من خروجات على كثير من الثوابت الدينية، وفى ضوء هذه المرئيات يتحتم أن يكون الخطاب الدعوى بكافة أشكاله مطابقًا لأحوال المتشددين والمتربصين، ومستويات أفكارهم واتجاهاتهم، احتكامًا إلى المتغيرات المستحدثة فى آليات الخطاب الدينى.

٤ــ التعليم الدينى:

يقتصر التعليم الدينى على مؤسسة الأزهر فى معاهدها وكلياتها المتخصصة، حيث يتلقى المتعلم قدرًا يمكن أن يكون كافيًا وعاصمًا من التحول إلى الفكر المتشدد، ومن ناحية أخرى فإن الجرعات الدينية فى التعليم غير الأزهرى لا تمثل أية قيمة يمكن أن يعتمد عليها فى إشباع

---

(١) البيهقى (٥١) حديث صحيح، ومسند البزار (٩٤٢٩).

(٢) التوبة: ١٢٢.

المعارف الدينية، التى يمكن أن يتحصن بها المتعلم من الاتجاه إلى التشدد والتطرف، فالحاصل أن القدر المقرر حسب المناهج التعليمية لا يغنى ولا يسمن، وفى الكليات الجامعية يقتصر الأمر على بعض الأقسام فى قليل من الكليات النظرية بما تقدم من قشور ربما تسهم بقلتها فى إتاحة الفرصة للراغب فى المعرفة أن يتحول شيئًا فشيئًا إلى مصادر لا يحسن فهمها ولا يجيد التعامل معها فيكون التشدد والتطرف، على أن المعارف الدينية خاصة التخصصية هى أساس –باتساعها– فى غاية الأهمية لإعداد النخبة المتخصصة للرد على المتشددين ومواجهتهم، وهى فى الوقت نفسه داعمة للحماية والتحصين من الفكر المتطرف؛ فالتعليم الدينى مطلب مهم سواء لإعداد العلماء المتخصصين فى الدفاع عن الفكر الوسطى والدعوة إليه أم للوقاية من الوقوع فى حبائل التشدد.

ولا ينبغى أن تكون المخاطبة والرد على معتنقى الفكر المتطرف لكل أحد؛ إذ يجب أن ينهض بهذه المهام المتخصصون الفاهمون للمراد من القرآن والسنة، ويكون الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، وفى سبيل الإعداد القويم لهذه الكوادر بدأ الأزهر فى إنشاء مسار لتعليم مستحدث، بحيث ينهض بالدعوة المؤهل لها والقادر عليها، ذلك أن المؤسسة الأزهرية تهدف إلى تميزها بما تسير عليه من دراسة العقائد والملل والنحل والمذاهب الفقهية وعلوم البلاغة والبيان، وسائر المعارف المؤهلة للدعوة الإسلامية والرد على المتشددين.

٥ــ توجيه الإعلام:

ينبغى أن يوجه الإعلام بكافة قنواته لزيادة الجرعات الدينية والثقافية، التى تحمى المسلم من التشدد والتطرف، لكن الحاصل أن بعض القنوات قد تسهم فى نشوء حالة من التشدد بسبب ما تعرضه من أطروحات يسوقها بعض المتشددين بقصد أو بدونه؛ استنادًا إلى الرغائب فى تحقيق المكاسب المادية، وفى سبيلها تزداد الإثارة والجدل والاختلاف، فبقدر ما تكون الوسائل الإعلامية –خاصة القنوات الفضائية– داعمة للفكر الوسطى فإنها على الجانب الآخر قد تؤجج المشاعر المعاندة والفكر المنحرف، تحت دعوى الحرية، التى ترتكب باسمها أخطر الإساءات الطاعنة فى صميم الدين وكثير من مصادره، ولذا يبقى الإعلام بكافة وسائله سلاحًا له أكثر من حد يمكن توجيهه، إما إلى تصحيح الفكر ونشر سماحة الإسلام وإما إلى إثارة الفتن والنزاعات بما يتيح ويقوى المزيد من التشدد والتطرف.

الخاتمة

– ينبغى أن تكون الدعوة الإسلامية مبرأة من الأهواء معبرة عن التيسير والاعتدال .

– لا تكون المواجهة للفكر المتشدد بأسلوب واحد أو بفكر واحد، وإنما يتحتم أن تتعدد الرؤى والوسائل بالآليات المتجددة فى سبيل الوصول إلى الهدف المنشود، وهو الحماية من التشدد والتطرف، والدعوة إلى الوسطية والاعتدال.

– ينبغى التقريب بين وجهات النظر وجمع الكلمة ونبذ الفرقة والانقسام، وذلك بالحوار الإيجابي، الذى يشمل الجميع بلا تفرقة، وتحت ظلال الحرية المنضبطة سعيًا إلى الإصلاح من خلال المصارحة والوضوح.

– يجب الاهتمام بالتعليم الدينى فى سائر المؤسسات التعليمية، من بدايته إلى نهايته، بحيث يتحقق إشباع المعارف الدينية لدى الناشئة والشباب، مع بيان المخاطر من اعتناق الفكر المتشدد.

– يجب فى كل الأحوال الاعتماد على كتاب الله تعالى، وسنة الرسول ﷺ فى سبيل الوصول إلى تقريب بين وجهات النظر ونشر سماحة الإسلام.